**بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ**

**- تفسير سورة "ق" الآية / 19-29/**

**- التَّفسير الميسَّر؛ سورة "الحجر" الآية /16-25/**

- مختصر الصّواعق المرسلة؛ **الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ نقُولَ لِعَدُوِّ اللَّهِ: إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ حُكْمَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَإِمَّا أَنْ تَجْحَدَها وَتُنْكِرَها**

- **موطأ مالك؛ بَابُ مَا جَاءَ فِي مُتْعَةِ الطَّلَاقِ**

- بلوغ المرام؛ **في تتمَّةِ كتابِ الحجِّ: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: (مَنِ الْقَوْمُ?)**

**- فتاوى**

**.............................................................**

**(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)**

**القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}** **[ق:19-29]**

**الشيخ:** إلى هنا، لا إله إلَّا الله.

يذكِّرُ -سبحانَه وتعالى- الإنسانَ بما سيمرُّ به من الأهوالِ والأمورِ العظامِ، أوَّل ذلكَ الموت {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} وبالموتِ يظهرُ للإنسانِ ما كانَ غائبًا عنه وغافلًا عنه، الموتُ هو القيامةُ الصُّغرى؛ لأنَّ كلَّ مَن ماتَ قامَتْ قيامتُه، ولهذا يدخلُ في الإيمان باليومِ الآخرِ كلُّ ما يكونُ بعدَ الموتِ.

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} وهذه هي القيامةُ الكبرى، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} ذلكَ اليومُ الَّذي يُنفَخُ فيه بالصُّورِ، الصُّورُ: قرنٌ عظيمٌ ينفخُ فيه ملَكٌ هو إسرافيلُ -عليهِ السَّلامُ- ينفخُ فيه نفختَينِ: نفخةَ الصَّعقِ، ونفخةَ البعثِ، {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر:68]، {ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}.

{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} كلُّ النُّفوسِ، تُساقُ النُّفوسُ بعدَ البعثِ تُساقُ إلى المحشرِ؛ للحسابِ والجزاءِ، {مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} سائقٌ يسوقُها وشاهدٌ يشهدُ عليها، {كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}

ويُقالُ له: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} يعني: كنتَ غافلًا عن هذا اليوم العظيم وهذا الخطب الجلل وعن هذه الأهوال، إي واللهِ إنَّ الإنسانَ الكافرَ في غفلةٍ أعظم ما تكونُ غفلة! ويحصلُ من المسلم أيضًا غفلةٌ في كثيرٍ من الأحيانِ وإنْ كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ ويؤمنُ بذلك اليومِ، لكن يعرضُ النِّسيانُ والذُّهولُ والغفلةُ في كثيرٍ من الأحوال، فعلى المسلمِ أن يجعلَ ذلك اليومَ على باله، يتذكَّرُ يومَ البعثِ يومَ النُّشورِ يومَ الحسابِ، لا إله إلَّا الله، يومَ الوعيدِ.

{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} الآنَ زالَ الغطاءُ، زالَ الغبَشُ، وصارَ الأمر عِيانًا ظاهرًا {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} بصرُكَ اليومَ حادٌّ تُبصِرُ بصرًا تامًّا وتشهدُ ما وُعِدْتَ به وما كنتَ غافلًا عنه، تشهدُه عِيانًا، {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [يس:63-64]

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} قرينُه، قيلَ: هو الـملَكُ الموكَّلُ به {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} هذا هو الَّذي أنا موكَّلٌ به حاضرٌ {عَتِيدٌ} هذا الَّذي عندي وأنا موكَّلٌ به هو حاضرٌ، فيُؤمَرُ بإلقاءِ الكافرِ المشرِكِ في جهنَّمَ، {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}.

{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} إنْ كانَ الشَّيطانُ فإنَّه يتبرَّأُ منه، وإن كانَ الـملَكُ فإنَّه يقولُ: لم أظلمْه فيما كتبْتُه عليهِ، {وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}.

قالَ اللهُ: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} فمعنى هذا أنَّ العبدَ يختصمُ معَ عدوِّه وشيطانِه، أو يختصمُ معَ الملَكِ الموكَّلِ بهِ، واللهُ يقولُ: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} قد أعلمْتُكم وبيَّنْتُ لكم وأرسلْتُ إليكم الرُّسلَ وأنزلْتُ الكتبَ، {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}.

{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} فما توعَّدَ اللهُ به الكافرين هو حالٌّ بهم لا محالةَ، فاللهُ لا يغفرُ للكافرين، فما توعَّدَهم به من العذابِ والخلودِ في جهنَّم لابدَّ أن يكونَ، لأنَّه لا تُرجَى لهم المغفرةُ، {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} سبحانَ الله العظيم، نسألُ اللهَ لنا ولكم الأمنَ في ذلك اليومِ، في يومِ الفزعِ الأكبرِ، في يومِ الفزعِ الأكبرِ، {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل:89]، {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة:201]

**(تفسيرُ السَّعديِّ)**

**القارئ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، قالَ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمنِ السَّعديُّ -رحمَهُ اللهُ تعالى- في تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ...} الآياتَ.**

**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} أي: اليومُ الَّذي يلحقُ الظَّالمينَ ما أوعدَهم اللهُ بهِ مِن العقابِ، والمؤمنينَ ما وعدَهم بهِ مِن الثَّوابِ.**

**{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ} يسوقُها إلى موقفِ القيامةِ، فلا يمكنُها أنْ تتأخَّرْ عنهُ، {وَشَهِيدٌ} يشهدُ عليها بأعمالِها خيرِها وشرِّها، وهذا يدلُّ على اعتناءِ اللهِ بالعبادِ وحفظِهِ لأعمالِهم ومجازاتِهِ لهم بالعدلِ، فهذا الأمرُ ممَّا يجبُ أنْ يجعلَهُ العبدُ منهُ على بالٍ**

**الشيخ:** اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، سبحانَ الله العظيم، هذا أمرٌ عظيمٌ يجبُ على العبدِ أن يجعلَه على بالِه لا يكونُ غافلًا عنه، فالكافرون عن هذا غافلون لكن لأنَّهم لا يؤمنون به، والعياذُ بالله، لكن العجب ممَّن يؤمنُ بذلك اليومِ ومعَ ذلكَ ينشغلُ عنه ويغفلُ عنه ويفرِّطُ في أسبابِ النَّجاة، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله.

**القارئ: فهذا الأمرُ ممَّا يجبُ أنْ يجعلَهُ العبدُ منهُ على بالٍ، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ غافلونَ، ولهذا قالَ: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} أي: يُقالُ للمُعرِضِ الـمُكذِّبِ يومَ القيامةِ هذا الكلامَ توبيخًا ولومًا وتعنيفًا أي: لقد كنْتَ مكذِّبًا بهذا، تاركًا للعملِ لهُ فالآنَ {كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} الَّذي غطَّى قلبَكَ، فكثرَ نومُكَ، واستمرَّ إعراضُكَ، {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ينظرُ ما يُزعجُهُ ويروعُهُ مِن أنواعِ العذابِ والنَّكَالِ.**

**أو هذا خطابٌ مِن اللهِ للعبدِ، فإنَّهُ في الدُّنيا في غفلةٍ عمَّا خُلِقَ لهُ، ولكنَّهُ يومَ القيامةِ يَنتبهُ ويزولُ عنهُ وَسَنُهُ**

**الشيخ:** ويزولُ عنه؟

**القارئ: وَسَنُهُ**

**الشيخ:** الوسنُ؟

**طالب:** إي نعم

**الشيخ:** يعني كأنَّه النُّعاسُ والغفلةُ، تعبيرٌ من الشَّيخ

**القارئ: في وقتٍ لا يمكنُهُ أنْ يتداركَ الفارطَ، ولا يستدركَ الفائتَ، وهذا كلُّهُ**

**الشيخ:** ويقرُّ الكافرُ يومَ القيامةِ يقول: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} [السجدة:12]، {أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} الآنَ أبصرْنا ما وُعِدْنا به أبصرْناه ورأيْناه وسمعْنا {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا} [السجدة:12] وهيهاتَ، ولا حولَ ولا قوَّةَ...، نسألُ اللهَ العافيةَ.

**القارئ: وهذا كلُّهُ تخويفٌ مِن اللهِ للعبادِ، وترهيبٌ، بذكرِ ما يكونُ على المكذِّبينَ في ذلكَ اليومِ العظيمِ.**

**قالَ اللهُ تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} الآياتَ:**

**يقولُ تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ} أي: قرينُ هذا المكذِّبِ المعرِضِ عِن الملائكةِ الَّذين وكَّلَهم اللهُ على حفظِهِ وحفظِ أعمالِهِ، فيُحضرُهُ يومَ القيامةِ ويُحضرُ أعمالَهُ ويقولُ: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} أي: قد أحضرْتُ ما جُعِلْتَ عليهِ مِن حفظِهِ وحفظِ عملِهِ فيُجازَى بعملِهِ.**

**ويُقالُ لِمَن استحقَّ النَّارَ: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} أي: كثيرِ الكفرِ والعنادِ لآياتِ اللهِ، المُكثِرِ مِن المعاصي، المُجترِّئِ على المحارمِ والمآثمِ.**

**{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ} أي: يمنعُ الخيرَ الَّذي قِبَلَهُ، الَّذي أعظمُهُ الإيمانُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ {مَنَّاعٍ} لنفعِ مالِهِ وبدنِهِ، {مُعْتَدٍ} على عبادِ**

**الشيخ:** يعني لا يفعلُ خيرًا ولا يتصدَّقُ ولا يفعلُ الطَّاعات، فإنَّ الامتناعَ عن فعل الطَّاعات هو بخلٌ، بخلَ بما ينفعُه فهو لا ينفعُ نفسَه ولا غيرَه، لا بمالٍ ولا ببدنِهِ.

**القارئ: {مُعْتَدٍ} على عبادِ اللهِ وعلى حدودِهِ {مُرِيبٍ} أي: شاكٍّ في وعدِ اللهِ ووعيدِهِ، فلا إيمانَ ولا إحسانَ ولكنْ وصفُهُ الكفرُ والعدوانُ والشَّكُّ والرَّيبُ والشُّحُّ، واتِّخاذُ الآلهةِ مِن دونِ الرَّحمنِ، ولهذا قالَ: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} أي: عَبَدَ معَهُ غيرَهُ ممَّن لا يملكُ لنفسِهِ نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، {فَأَلْقِيَاهُ} أيُّها الملكانِ القرينانِ {فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ} الَّذي هوَ معظمُها وأشدُّها وأشنعُها.**

**الشيخ:** أعوذُ بالله

**القارئ: {قَالَ قَرِينُهُ} الشَّيطانُ، مُتبرِّئًا منهُ، حاملًا عليهِ إثمَهُ: {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} لأنَّي لم يكنْ لي عليهِ سلطانٌ، ولا حجَّةٌ ولا برهانٌ، ولكنْ كانَ في الضَّلالِ البعيدِ، فهوَ الَّذي ضلَّ وأبعدَ عن الحقِّ باختيارِهِ، كما قالَ في الآيةِ الأخرى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ...} [إبراهيم:22] الآيةَ.**

**قالَ اللهُ تعالى مجيبًا لاختصامِهم: {لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} أي: لا فائدةَ في اختصامِكم عندي، {وَ} الحالُ أنِّي {قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} أي: جاءَتْكم رسلي بالآياتِ البيِّناتِ، والحججِ الواضحاتِ، والبراهينِ السَّاطعاتِ، فقامَتْ عليكم حجَّتي وانقطعَتْ حجَّتُكم، وقدَّمْتُم إليَّ بما أسلفْتُم**

**الشيخ:** وقَدِمْتُم

**القارئ: وقَدِمْتُم إليَّ بما أسلفْتُم مِن الأعمالِ الَّتي وجبَ جزاؤُها.**

**{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} أي: لا يمكنُ أنْ يُخلَفَ ما قالَهُ اللهُ وأخبرَ بهِ؛ لأنَّهُ لا أصدقُ مِن اللهِ قِيلًا ولا أصدقُ حديثًا.**

**{وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ} بل أجزيهم بما عملُوا مِن خيرٍ وشرٍّ، فلا يُزادُ في سيِّئاتِهم، ولا يُنقَصُ مِن حسناتِهم.**

**{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ}**

**الشيخ:** أحسنتَ، أعوذُ باللهِ من النَّار**.**

**(التَّفسيرُ الميسَّرُ)**

**القارئ: بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، وصلَّى اللهُ وسَلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.**

**قالَ اللهُ تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} [الحجر:16]**

**ومِن أدلَّةِ قدرتِنا: أنَّا جعلْنا في السَّماءِ الدُّنيا منازلَ للكواكبِ تنزلُ فيها، ويُستدَلُّ بذلكَ على الطُّرقاتِ والأوقاتِ والخَصْبِ والجَدْبِ، وزَيَّنَّا هذهِ السَّماءَ بالنُّجومِ لِمن ينظرونَ إليها، ويتأمَّلونَ فيعتبرونَ.**

**{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [الحجر:17]**

**وَحَفِظْنَا السَّماءَ مِن كلِّ شيطانٍ مرجومٍ مطرودٍ مِن رحمةِ اللهِ; كي لا يصلَ إليها.**

**الشيخ:** لئلَّا يصلَ أيش؟

**القارئ: يصلَ إليها**

**الشيخ:** إليها، صحيحٌ، السَّماء يعني، حفظْناها لئلَّا يصلَ إليها، جيِّد

**القارئ: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر:18]**

**إلَّا مَن اختلسَ السَّمعَ مِن كلامِ أهلِ الملأِ الأعلى في بعضِ الأوقاتِ، فأدركَهُ ولحقَهُ كوكبٌ مضيءٌ يحرقُهُ. وقد يُلْقي الشَّيطانُ إلى وليِّهِ بعضَ ما استرقَهُ قبلَ أنْ يحرقَهُ الشِّهابُ.**

**{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر:19]**

**والأرضَ مَدَدْنَاهَا متَّسعةً، وألقيْنا فيها جبالًا تثبِّتُها، وَأَنْبَتْنَا فيها مِن كلِّ أنواعِ النَّباتِ ما هوَ مُقدَّرٌ معلومٌ ممَّا يحتاجُ إليهِ العبادُ.**

**{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} [الحجر:20]**

**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيها ما بهِ تعيشونَ مِن معادنَ وحجارةٍ وغيرِها، وخلقْنا لكم مِن الذُّريَّةِ والخدمِ والدَّوابِّ ما تنتفعونَ بهِ، وليسَ رزقُهم عليكم، وإنَّما هوَ على اللهِ ربِّ العالمينَ تفضُّلًا منهُ وتكرُّمًا.**

**{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر:21]**

**وما مِن شيءٍ مِن منافعِ العبادِ إلَّا عندَنا خزائنُهُ مِن جميعِ الصُّنوفِ، وما ننزلُهُ إلَّا بمقدارٍ محدَّدٍ كما نشاءُ وكما نريدُ، فالخزائنُ بيدِ اللهِ يعطي مَن يشاءُ ويمنعُ مَن يشاءُ، بحسبِ رحمتِهِ الواسعةِ، وحكمتِهِ البالغةِ.**

**{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} [الحجر:22]**

**وأرسلْنا الرِّياحَ وسخَّرْناها تُلَقِّحُ السَّحابَ، وتحملُ المطرَ والتُّرابَ والخيرَ والنَّفعَ، فأنزلْنا مِن السَّحابِ ماءً أعددْناهُ لشرابِكم وأرضِكم ومواشيكم، وما أنتم لهُ بحافظينَ في خزائنِكم ونحنُ الخازنونَ لهُ.**

**{وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} [الحجر:23]**

**وإنَّا لنحنُ نُحيي مَن كانَ ميتًا بخلقِهِ مِن العدمِ، ونُميتُ مَن كانَ حيًّا بعدَ انقضاءِ أجلِهِ، ونحنُ الوارثونَ الأرضَ ومَن عليها.**

**{وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} [الحجر:24]**

**وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَن هلكَ منكم مِن لَدُنْ آدمَ، ومَن هوَ حيٌّ، ومَن سيأتي إلى يومِ القيامةِ.**

**{وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الحجر:25]**

**وإنَّ ربَّكَ هوَ يحشرُهم للحسابِ والجزاءِ، إنَّهُ حكيمٌ في تدبيرِهِ، عليمٌ لا يخفى عليهِ شيءٌ.**

**الشيخ:** أحسنْتَ، لا إله إلَّا اللهَ، اشتملَتْ هذه الآياتُ على التَّذكير بالآيات، فالآياتُ الشَّرعيَّةُ الَّتي هي كلامُ اللهِ متضمِّنةٌ للتَّذكير بالآيات الكونيَّة السَّماويَّة والأرضيَّة، وهذا كثيرٌ في القرآن {وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات:20]، {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آَيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:32]، {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا...} [الحجر:16-17]

فمن أعظمِ آياتِه هذه الكواكبُ ومجاريها وأنواعُها، وللهِ في ذلكَ حِكمٌ بيَّنَها في كتابِهِ، فاللهُ خلقَ النُّجومَ؛ زينةً للسَّماءِ ورجومًا للشَّياطين وعلاماتٍ يُهتدَى بها، فذكرَ اللهُ في هذا الموضع أنَّها رجومٌ للشَّياطين وأنَّها زينةٌ، زينةٌ للسَّماء للنَّاظرين النَّاظرين إليها، كيفَ يرونها في اللَّيل عندما تتلألأُ هذه النُّجومُ في ظلام اللَّيل، فضوْءُها يخرقُ هذا الظَّلامَ وينفذُ حتَّى يراه النَّاسُ، {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [الحجر:16-17]

وذكرَ الأرضَ أيضًا وأنَّه بسطَها للعبادِ: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ}[الحجر:19] فيها آياتٌ من الجبالِ والأنهارِ وصنوفِ الخلقِ من النَّباتات بأنواعها، والمعادنِ والخيراتِ والبركاتِ.

وذكرَ من آياتِه أيضًا السَّماويَّةِ الأرضيَّةِ وهي الرِّياحُ بينَ السَّماءِ والأرضِ {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر:20-21] وكلُّ ما يسوقُه اللهُ للعباد من الأرزاق بأنواعها فذلكَ بقدرٍ مُقدَّرٍ سبقَ به علمُه وقدرُه سبحانه وتعالى وجرى على وفقِ الحكمةِ، على وفقِ حكمتِه البالغةِ، فله حكمةٌ بالغةٌ في العطاءِ والمنعِ، يعطي ويمنعُ، وله الحمدُ على العطاء والمنع، لأنَّه حكيمٌ سبحانه وتعالى، ذو حكمةٍ بالغةٍ في عطائِه ومنعِه، فإذا حصلَ الرَّغدُ -رغد العيش- وبسط الرِّزق وحصلَ الخيرُ فذلك من فضله وبحكمةٍ جرى، وإنْ حصلَ القلَّة والقحط وقلَّة الأرزاقِ فذلكَ بقدرهِ وبحكمتِه سبحانه، فله الحكمةُ البالغةُ في عطائِه ومنعِه. إلى هنا.

**(مُختصَرُ الصَّواعقِ المُرسلَةِ)**

**القارئ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ، سيِّدِنا ونبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.**

**قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ القيِّمِ -رحمَهُ اللهُ تعالى- في سياقِ أجوبتِهِ على الشُّبهِ الإبليسيَّةِ والرَّدِّ عليها:**

**قالَ رحمَهُ اللهُ: الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ نقُولَ لِعَدُوِّ اللَّهِ: إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ حُكْمَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَإِمَّا أَنْ تَجْحَدَها وَتُنْكِرَها، فَإِنْ سَلَّمْتَهَا وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- حَكِيمٌ فِي خَلْقِكَ حَكِيمٌ فِي أَمْرِكَ بِالسُّجُودِ، بَطَلَتِ الْأَسْئِلَةُ وَكُنْتَ مُعْتَرِفًا بِأَنَّكَ أَوْرَدْتَهَا عَلَى مَنْ تُبْهِرُ حِكْمَتُهُ الْعُقُولَ، فَتَسْلِيمُكَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ الَّتِي لَا سَبِيلَ لِلْمَخْلُوقِينَ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِيهَا يَعُودُ عَلَى أَسْئِلَتِكَ الْفَاسِدَةِ بِالنَّقْضِ، وَإِنْ رَجَعْتَ عَنِ الْإِقْرَارِ لَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَقُلْتَ: لَا يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ الْبَتَّةَ بَلْ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:23] فَمَا وَجْهُ إِيرَادِ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يَفْعَلْ لِحِكْمَةٍ؟ فَقَدْ أَوْرَدْتَ الْأَسْئِلَةَ عَلَى مَنْ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَطَعَنْتَ فِي حِكْمَةِ مَنْ كُلُّ أَفْعَالِهِ حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَعَدْلٌ وَخَيْرٌ بِمَعْقُولِكَ الْفَاسِدِ.**

**الشيخ:** يعني: طعنْتَ في ذلك بمعقولِكَ.

**القارئ: الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ فَطَرَ عِبَادَهُ -حَتَّى الْحَيَوَانَ- عَلَى اسْتِحْسَانِ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْإِتْيَانِ بِهِ فِي وَقْتِهِ وَحُصُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، وَعَلَى اسْتِقْبَاحِ ضِدِّ ذَلِكَ وَخِلَافِهِ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ دَالٌّ عَلَى كَمَالِ فَاعِلِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَضِدُّهُ دَالٌّ عَلَى نَقْصِهِ، وَهَذِهِ فِطْرَةٌ لَا يُمْكِنُهُمُ الْخُرُوجُ عَنْ مُوجِبِهَا، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي لَا يَلِيقُ بِهَا سِوَاهَا، وَيَخُصُّهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالْهَيْئَاتِ وَالْمَقَادِيرِ بِمَا هُوَ أَنْسَبُ لَهَا مِنْ غَيْرِهِ**

**الشيخ:** وهذا معنى الحكمةِ، الحكمةُ: وضعُ الأشياءِ في مواضعِها، فاللهُ تعالى حكيمٌ في أفعاله وأقداره وشرائعه، له الحكمةُ البالغةُ، يضعُ الأشياءَ في مواضعِها، وإنَّما يدركُ ذلك مَن عقلَ وأنصفَ وتدبَّرَ بنظرٍ صحيحٍ، فللَّهِ في كلِّ شيءٍ حكمةٌ في شرعه وقدرِهِ سبحانه وتعالى.

**القارئ: وَيَخُصُّهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالْهَيْئَاتِ وَالْمَقَادِيرِ بِمَا هُوَ أَنْسَبُ لَهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَيبْرزُهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمُنَاسِبَةِ لَهَا، وَمَنْ لَهُ نَظَرٌ صَحِيحٌ وَأَعْطَى التَّأَمُّلَ حَقَّهُ شَهِدَ ذَلِكَ فِيمَا رَآهُ وَعَلِمَهُ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا شَاهَدَهُ عَلَى مَا خَفِيَ عَنْهُ، وَقَدْ نَدَبَ -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:21]**

**وَمَنْ نَظَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَتَأَمَّلَهُ حَقَّ تَأَمُّلٍ وَجَدَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمُعَدِّ فِيهِ جَمِيعَ عَتَادِهِ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالْبِسَاطِ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، وَالْمَنَافِعُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا لِأَمْرٍ يَصْلُحُ لَهُ، وَالْإِنْسَانُ كالمالكِ الْمُخَوَّلِ فِيهِ، وَضُرُوبُ النَّبَاتِ مُهَيَّئَاتٌ لِمَآرِبِهِ، وَصُنُوفُ الْحَيَوَانِ مُصَرَّفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ، فَمِنْهَا مَا هُوَ لِلدَّرِّ وَالنَّسْلِ وَالْغِذَاءِ فَقَطْ، وَمِنْهَا مَا هُوَ لِلرَّكُوبِ وَالْحُمولَةِ فَقَطْ، وَمِنْهَا مَا هُوَ لِلْجَمَالِ وَالزِّينَةِ، وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْإِبِلِ، وَجَعَلَ أَجْوَافَهَا خَزَائِنَ لِمَا هُوَ شَرَابٌ وَغِذَاءٌ وَدَوَاءٌ وَشِفَاءٌ، فَفِيهَا عِبْرَةٌ لِلنَّاظِرِينَ وَآيَاتٌ لِلْمُتَوَسِّمِينَ، وَفِي الطَّيْرِ وَاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَمَقَادِيرِهَا وَمَنَافِعِهَا وَأَصْوَاتِهَا صَافَّاتٍ وَقَابِضَاتٍ، وَغَادِيَاتٍ وَرَائِحَاتٍ، وَمُقِيمَاتٍ وَظَاعِنَاتٍ، أَعْظَمُ عِبْرَةٍ وَأَعْظَمُ دَلَالَةٍ عَلَى حِكْمَةِ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ**

**الشيخ:** سبحانه وتعالى

**القارئ: وَكُلُّ مَا أَخَذَهُ النَّاسُ وَأَدْرَكُوهُ بِالْأَفْكَارِ الطَّوِيلَةِ وَالتَّجَارِبِ الْمُتَعَدِّدَةِ مِنْ أَصْنَافِ الْآلَاتِ وَالْمَصَانِعِ وَغَيْرِهَا إِذَا فَكَّرَ فِيهَا الْمُتَفَكِّرُ وَجَدَهَا مُشْتَقَّةً مِنَ الْخِلْقَةِ، وَمُسْتَنْبَطَةً مِنَ الصُّنْعِ الْإِلَهِيِّ.**

**مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبَّانَ مُسْتَنْبِطٌ مِنْ خلقةِ الْبَعِيرِ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْهُ يَنْهَضُ بِحَمْلِهِ وَيَنُوءُ بِهِ وَيَمُدُّ عُنُقَهُ وَيُوَازِنُ حِملَهُ بِرَأْسِهِ اسْتَنْبَطُوا الْقَبَّانَ مِنْ ذَلِكَ**

**الشيخ:** القبَّانُ: ميزانٌ، ميزانٌ خشبيٌّ معروفٌ إلى وقتٍ قريبٍ، هو الآلةُ الَّتي توزنُ بها، خشبٌ، خشبةٌ ثقيلةٌ لها خطوطٌ ويوضعُ في...، ويُعلَّقُ عليها حجرٌ ثقيلٌ بحسب تقدُّمه وتأخُّره يكون الوزن، فإذا كانَ الموزونُ ثقيلًا يكونُ الحجرُ في طرف الخشبِ، وإذا كانَ خفيفًا...، وكلَّما قرَّبْتَه يكونُ الموزونُ أخفَّ، وكلَّما أبعدْتَه يكون الموزونُ أثقلَ، ويُسمَّى القبَّان.

**القارئ: فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْهُ يَنْهَضُ بِحَمْلِهِ وَيَنُوءُ بِهِ وَيَمُدُّ عُنُقَهُ وَيُوَازِنُ حَمْلَهُ بِرَأْسِهِ اسْتَنْبَطُوا الْقَبَّانَ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلُوا طُولَ حَدِيدَتِهِ فِي مُقَابَلَةِ طُولِ الْعُنُقِ، وَرُمَّانةَ الْقَبَّانِ فِي مُقَابَلَةِ رَأْسِ الْبَعِيرِ فَتَمَّ لَهُمْ مَا اسْتَنْبَطُوهُ.**

**وكَذَلِكَ اسْتَنْبَطُوا بِنَاءَ الْأَقْباءِ مِنْ ظَهْرِهِ، فَإِنَّهُمْ وَجَدُوهُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ غَيْرُهُ فَتَأَمَّلُوا ظَهْرَهُ فَإِذَا**

**الشيخ:** وكَذَلِكَ اسْتَنْبَطُوا؟

**القارئ: وكَذَلِكَ اسْتَنْبَطُوا بِنَاءَ الْأَقْباءِ،** القبو يبدو أحسنَ اللهُ إليكم

**الشيخ:** إي، الأقبية، نعم، الأقباء والأقبية ماشي

**القارئ: فَإِنَّهُمْ وَجَدُوهُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ غَيْرُهُ فَتَأَمَّلُوا ظَهْرَهُ فَإِذَا هُوَ كَالْقَبْوِ، فَعَلِمُوا أَنَّ الْقَبْوَ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ السَّطْحُ.**

**وَكَذَلِكَ مَا اسْتَنْبَطَهُ الْحُذَّاقُ لِكُلِّ مَنْ كَلَّ بَصَرُهُ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ إِلَى إِجَانَةٍ خَضْرَاءَ مَمْلُوءَةٍ مَاءً اسْتِنْبَاطًا مِنْ حِكْمَةِ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ، فَإِنَّ لَوْنَهَا أَشَدُّ الْأَلْوَانِ مُوَافَقَةً لِلْبَصَرِ، فَجَعَلَ أَدِيمَهَا بِهَذَا اللَّوْنِ لِيُمْسِكَ الْأَبْصَارَ وَلَا يَنْكَأُ فِيهَا بِطُولِ مُبَاشَرَتِهِ لَهَا.**

**وَإِذَا فَكَّرْتَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا لِإِقَامَةِ دَوْلَتَيِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَوْلَا طُلُوعُهَا لَبَطَلَ أَمْرُ هَذَا الْعَالَمِ، فَكَمْ فِي طُلُوعِهَا مِنَ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ، وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْحَيَوَانِ لَوْ أُمْسِكَتْ عَنْهُ وَجُعِلَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ سَرْمَدًا وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةً عَلَيْهِ، فَبِأَيِّ نُورٍ كَانُوا يَتَصَرَّفُونَ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ تَنْضُجُ ثِمَارُهُمْ، وَتَكْمُلُ أَقْوَاتُهُمْ وَتَعْتَدِلُ صُوَرُهُمْ؟ فَالْحِكَمُ فِي طُلُوعِهَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَخْتَفِيَ أَوْ تُحْصَى، وَلَكِنْ تَأَمَّلِ الْحِكْمَةَ فِي غُرُوبِهَا، فَلَوْلَا غُرُوبُهَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيَوَانِ هُدُوءٌ وَلَا قَرَارٌ، مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْهُدُوءِ وَالرَّاحَةِ، وَأَيْضًا لَوْ دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَاشْتَدَّ**

**الشيخ:** كلُّ هذا ممَّا نبَّهَ إليه القرآنُ كما في سورٍ كثيرةٍ، ومنها سورةُ القصصِ: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا} [القصص:71] وقالَ في النَّهار كذلك: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ...} [القصص:72] إلى قوله: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [القصص:73]، {لِتَسْكُنُوا فِيهِ} اللَّيل، {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} في النَّهار، جعلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلَ النَّهَارَ مَعَاشًا، والتَّنبيهُ على هذا المعنى كثيرٌ في القرآن، يُذكِّرُ اللهُ باللَّيلِ والنَّهارِ وتعاقُبِهما وتقلُّبِهما ودخولِ بعضِهما ببعضٍ، {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحديد:6] آياتٌ متكرِّرةٌ ولكنَّ الاعتيادَ يصرفُ عنها، الشَّيءُ إذا تعوَّدَه الإنسانُ لا يثيرُ اهتمامَه ولا فكرَه؛ لأنَّه أمرٌ يقول: "عاديٌّ"، لكنَّها لا يغيِّرُ هذا من دلالتها وما فيها من الدَّلالة وما فيها من النِّعمة.

**القارئ: فَلَوْلَا غُرُوبُهَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيَوَانِ هُدُوءٌ وَلَا قَرَارٌ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْهُدُوءِ وَالرَّاحَةِ، وَأَيْضًا لَوْ دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَاشْتَدَّ حَرُّهَا بِدَوَامِ طُلُوعِهَا عَلَيْهَا، فَاحْتَرَقَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ وَالْعَزِيزِ الْحَكِيمِ أَنْ جَعَلَهَا تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، بِمَنْزِلَةِ سِرَاجٍ يُرْفَعُ لِأَهْلِ الدَّارِ مَلِيًّا لِيَقْضُوا مَأْرَبَهُمْ ثُمَّ تغِيبُ عَنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ لِيَقَرُّوا وَيَهْدَؤوا، وَصَارَ ضِيَاءُ النَّهَارِ وَحَرَارَتُهُ، وَظَلَامُ اللَّيْلِ وَبَرْدُهُ، عَلَى تَضَادِّهِمَا وَمَا فِيهِمَا مُتَظَاهِرَيْنِ مُتَعَاوِنَيْنِ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْعَالَمِ وَقِوَامُهُ.**

**ثُمَّ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ جَعَلَ لِلشَّمْسِ ارْتِفَاعًا وَانْحِطَاطًا لِإِقَامَةِ هَذِهِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ السَّنَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ قِيَامِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، فَفِي زَمَنِ الشِّتَاءِ تَفُورُ الْحَرَارَةُ فِي الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ، فَيَتَوَلَّدُ فِيهَا مَوَادُّ الثِّمارِ وَيَغْلُظُ الْهَوَاءُ بِسَبَبِ البردِ فَيَصِيرُ مَادَّةً لِلسَّحَابِ، فَيُرْسِلُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الرِّيحَ الْمُثِيرَةَ فَتثيرُهُ قَزَعًا ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهِ الْمُؤَلَّفَةَ**

**الشيخ: "**الْمُؤَلِّفَةَ"

**القارئ: ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهِ الْمُؤَلِّفَةَ فَتُؤَلِّفُ بَيْنَهُ حَتَّى يَصِيرَ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهِ الرِّيحَ اللَّاقِحَةَ الَّتِي فِيهَا مَادَّةُ الْمَاءِ فَتُلَقِّحُهُ كَمَا يَلْقَحُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى**

**الشيخ:** يُلْقِحُ

**القارئ: كَمَا يُلْقِحُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى فَيَحْمِلُ الْمَاءَ مِنْ وَقْتِهِ، فَإِذَا كَانَ بُرُوزُ الْحَمْلِ وَانْفِصَالُهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِ الرِّيحَ الذَّارِيَةَ فَتَذْرُوهُ وَتُفَرِّقُهُ فِي الْهَوَاءِ؛ لِئَلَّا يَقَعَ صَبَّةً وَاحِدَةً فَيَهْلِكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَمَا أَصَابَهُ وَيَقِلَّ الِانْتِفَاعُ بِهِ، فَإِذَا أَسْقَى مَا أُمِرَ بِسَقْيِهِ وَفَرَغَتْ حَاجَتُهُمْ مِنْهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِ الرِّيَاحَ السَّائِقَةَ فَتَسُوقُهُ وَتُزْجِيهِ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ، وَأَرْضٍ أُخْرَى مُحْتَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَإِذَا جَاءَ الرَّبِيعُ تَحَرَّكَتِ الطَّبَائِعُ وَظَهَرَتِ الْمَوَادُّ الْكَامِنَةُ فِي الشِّتَاءِ فَخَرَجَ النَّبَاتُ، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، فَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ سَخَنَ الْهَوَاءُ وَتَحَلَّلَتْ فَضَلَاتُ الْأَبْدَانِ، فَإِذَا جَاءَ الْخَرِيفُ كَسَرَ ذَلِكَ السَّمُومَ وَالْحَرُورَ، وَبَرْدَ الْهَوَاءُ**

**الشيخ:** وَبَرَدَ، وَبَرَدَ الْهَوَاءُ، فعلٌ

**القارئ: وَبَرَدَ الْهَوَاءُ وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ وَالشَّجَرُ فِي الرَّاحَةِ وَالْجُمُومِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَمْلِ الْآخَرِ.**

**وَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ أَنْزَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي الْبُرُوجِ وَقَدَّرَ لَهُمَا الْمَنَازِلَ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مِنَ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، فَتَتِمُّ بِذَلِكَ مَصَالِحُهُمْ وَتُعْلَمُ آجَالُ مُعَامَلَاتِهِمْ وَمَوَاقِيتُ حَجِّهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُدَدُ أَعْمَارِهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ حِسَابِهِمْ، فَالزَّمَانُ مِقْدَارُ الْحَرَكَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ السَّنَةَ الشَّمْسِيَّةَ مقدارُ مَسِيرِ الشَّمْسِ مِنَ الْحَمَلِ إِلَى الْحَمَلِ، وَالْيَوْمَ مِقْدَارُ مَسِيرِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَبحركةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يُكالُ الزَّمَانُ مِنْ يَوْمِ خُلِقَا إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَيَعْزِلَهُمَا عَنْ سُلْطَانِهِمَا، وَيُري عَبادَهما أَنَّهُمْ عَبَدُوا الْبَاطِلَ مِنْ دُونِهِ، قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس:5]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} [الإسراء:12]**

**وَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي تَدْبِيرِهِ أَنْ فَاوَتَ بَيْنَ مَقَادِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمَا دَائِمًا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ وَلَا أَطْوَلَ مِمَّا هُمَا عَلَيْهِ وَلا أَقْصَرَ، بَلْ جَاءَ اسْتِوَاؤُهُمَا وَأَخَذَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ، حَتَّى إِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي يَقْصُرُ أَحَدُهُمَا فِيهِ جِدًّا لَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ حَيَوَانٌ وَلا نَبَاتٌ، كَالْمَكَانِ الَّذِي لَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ لَا تَغْرُبُ عَنْهُ، فَلَوْ كَانَ النَّهَارُ مِقْدَارَ مِائَةِ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ كَانَ اللَّيْلُ كَذَلِكَ لَتَعَطَّلَتِ الْمَصَالِحُ الَّتِي نَظَّمَهَا اللَّهُ بِهَذَا الْمِقْدَارِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.**

**ثُمَّ تَأَمَّلِ الْحِكْمَةَ فِي إِنَارَةِ الْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى الظُّلْمَةِ لِهُدُوءِ الْحَيَوَانِ وَبَرْدِ الْهَوَاءِ لَمْ تَقْتَضِ الْمَصْلَحَةُ أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ ظُلْمَةً دَاجِيَةً لَا ضِيَاءَ فِيهَا، فَلَا يُمْكِنُ فِيه شَيْءٌ مِنَ الْعَمَلِ، وَرُبَّمَا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى الْعَمَلِ بِاللَّيْلِ لِضِيقِ الْوَقْتِ عَلَيْهِمْ فِي النَّهَارِ أو لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ فِيهِ، فَاحْتَاجُوا إِلَى الْعَمَلِ فِي اللَّيْلِ فِي نُورِ الْقَمَرِ مِنْ حَرْثِ الْأَرْضِ وَقَطْعِ الزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَجَعَلَ ضَوْءَ الْقَمَرِ فِي اللَّيْلِ مَعُونَةً لِلنَّاسِ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَجَعَلَ فِي الْكَوَاكِبِ جُزْءًا يَسِيرًا مِنَ النُّورِ لِيَسُدَّ مَسَدَّ الْقَمَرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ، وَجُعِلَتْ زِينَةً للسَّمَاءِ ومَعَالِمَ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَدَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ عَلَى الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ الَّتِي بِهَا انْتِظَامُ هَذَا الْعَالَمِ، وَجُعِلَتِ الشَّمْسُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ لِئَلَّا تَتَعَطَّلَ الْحِكمةُ الْمَقْصُودَةُ مِنْهَا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ لِئَلَّا تَتَعَطَّلَ الْحِكَمةُ الْمَقْصُودَةُ مِنْ جَعْلِهِ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ في نُورِهِ مِنَ التَّبْرِيدِ وَالتَّصَلُّبِ مَا يُقَابِلُ مَا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ مِنَ التَّسْخِينِ وَالتَّحْلِيلِ، فَتَنْتظمُ الْمُصْلِحَةُ وَتَتِمُّ الْحِكْمَةُ مِنْ هَذَا في هذا التَّسْخِينِ وَالتَّبْرِيدِ.**

**ثُمَّ تَأَمَّلِ اللُّطْفَ وَالْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ**

**الشيخ:** إلى أين؟ ماشي؟ كذا

**القارئ:** نعم مستمِرٌّ

**الشيخ:** قفْ على: "ثُمَّ تَأَمَّلْ" قفْ عليه.

له عنايةٌ -رحمه الله- بذكرِ الحكمِ في المخلوقات، وذكرَ شيئًا كثيرًا في كتابه: "مفتاحُ دارِ السَّعادة"، واللهُ تعالى يقولُ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد:3]، فطريقُ الانتفاعِ بهذه الآيات هو التَّفكُّرُ، وقد أثنى اللهُ على أولي الألبابِ بالتَّفكُّرِ: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران:191]، فالمؤمنون المهديُّون يؤمنونَ بأنَّ اللهَ لم يخلقْ هذا الوجودَ عبثًا ولا باطلًا ولا لعبًا، بل خلقَه لحكمةٍ بالغةٍ هو يعلمُها، وقد بيَّنَ لنا ما شاءَ من ذلكَ، وأمَّا الكافرون فعندَهم أنَّ هذا الوجودَ باطلٌ وأنَّه لا معنى له، فحكى عن عبادِه المؤمنين قولهم: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} [آل عمران:191]، وقالَ في الكافرين: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص:27]، والحمدُ لله على نعمة الإسلامِ، نعمةُ الإسلامِ أعظمُ نعمةٍ على العبد يعرفُ بها ربَّه ويعرفُ بها حقيقةَ أمرِه وحقيقةَ نفسِه ومن أينَ جاءَ وإلى أين يصيرُ، الحمدُ للهِ.

**(مُوطَّأُ مَالِكٍ)**

**القارئ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ، نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، أمَّا بعدُ:**

**قالَ في موطَّأِ الإمامِ مالكٍ: بَابُ مَا جَاءَ فِي مُتْعَةِ الطَّلَاقِ:**

**حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَمَتَّعَ بِوَلِيدَةٍ.**

**وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ**

**الشيخ:** "وليدةٍ" يعني: متَّعَها بأَمَةٍ، يقالُ للأمةِ: وليدة مملوكة، وهبَها لها؛ متعةً لطلاقهِ إيَّاها، متَّعَها وليدةً

**القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهما- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ إِلَّا الَّتِي تُطَلَّقُ وَقَدْ فُرِضَ لَهَا صَدَاقٌ، وَلَمْ تُمْسَسْ فَحَسْبُهَا نِصْفُ مَا فُرِضَ لَهَا»**

**الشيخ:** كما ذكرَ اللهُ: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ...} [البقرة:237] نصُّ الآيةِ الكريمةِ.

**القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ» قَالَ مَالِكٌ: وَبَلَغَنِي عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِثْلُ ذَلِكَ. قَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ لِلْمُتْعَةِ عِنْدَنَا حَدٌّ مَعْرُوفٌ فِي قلَّتِها ولا في كثرتِها».**

**الشيخ:** يعني تعودُ إلى ظروفِ المطلِّقِ وحالِه وحالِ المرأةِ، فليسَ لها مقدارٌ، ليس لها مقدارٌ شرعيٌّ لا يُزادُ فيه ولا يُنقَصُ كأنصبةٍ، كمقاديرِ الزَّكاةِ، لا، بل هي مطلَقةٌ، {مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ}[البقرة:236]**.**

**القارئ: بَابُ مَا جَاءَ فِي طَلَاقِ الْعَبْدِ:**

**وحَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ نُفَيْعًا مُكَاتَبًا كَانَ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ عَبْدًا كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ حُرَّةٌ فَطَلَّقَهَا اثْنَتَيْنِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُرَاجِعَهَا، فَأَمَرَهُ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَأْتِيَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رضيَ اللهُ عنهُ- فَيَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فذهبَ فَلَقِيَهُ عِنْدَ الدَّرَجِ آخِذًا بِيَدِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَسَأَلَهُمَا فَابْتَدَرَاهُ جَمِيعًا فَقَالَا: «حَرُمَتْ عَلَيْكَ، حَرُمَتْ عَلَيْكَ»**

**الشيخ:** اللهُ أكبرُ، هذا أخذَ منه أهلُ العلمِ أنَّ طلاقَ العبدِ طلقتان، يعني: الطَّلاقُ الَّذي يحرِّمُ المطلَّقةَ على مطلِّقِها طلقتانِ، بخلافِ الحرِّ فالَّذي يحرِّمُها ثلاثُ طلقاتٍ، وعلى هذا كثيرٌ من أهل العلمِ، أو جمهورِ أهلِ العلمِ، كما في مسائلَ كثيرةٍ في شأنِ المماليك، كما إنَّ العبيدَ والرَّقيقَ على النِّصف في الحدود.

وهكذا في جملةٍ من الأحكام قاسَها الفقهاءُ على مسألةِ الحدودِ {فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} [النساء:25] على الإماءِ {نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ} يعني: الحرائر، فالأَمَةُ إذا زنَتْ تُجلَدُ خمسينَ جلدةً، والحرَّةُ مائةَ جلدةٍ إن كانَتْ بكرًا أو تُرجَمُ إن كانَتْ ثيِّبًا.

**القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ نُفَيْعًا مُكَاتَبًا كَانَ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَلَّقَ امْرَأَةً حُرَّةً تَطْلِيقَتَيْنِ، فَاسْتَفْتَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رضيَ اللهُ عنهُ- فَقَالَ: «حَرُمَتْ عَلَيْكَ».**

**الشيخ:** اللهُ أكبرُ.

**القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ، أَنَّ نُفَيْعًا مُكَاتَبًا كَانَ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَفْتَى زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- فَقَالَ: «إِنِّي طَلَّقْتُ امْرَأَةً حُرَّةً تَطْلِيقَتَيْنِ» فَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: «حَرُمَتْ عَلَيْكَ».**

**وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهما- كَانَ يَقُولُ: "إِذَا طَلَّقَ الْعَبْدُ امْرَأَتَهُ تَطْلِيقَتَيْنِ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ: حُرَّةً كَانَتْ أَوْ أَمَةً، وَعِدَّةُ الْحُرَّةِ ثَلَاثُ حِيَضٍ، وَعِدَّةُ الْأَمَةِ حَيْضَتَانِ".**

**الشيخ:** كلُّها مبنيَّةٌ على تنصيفِ الحدِّ في الآيةِ الكريمةِ، والشَّيءُ، يعني: لاحظوا جبرَ الكسرِ، عِدَّةُ الحرَّةِ ثلاثةُ أقراءٍ، ثلاثةُ حِيَضٍ، وعِدَّةُ الأمَةِ حيضتانِ، وإنْ اعتدَّتْ بالأشهرِ فعدَّتُها شهرانِ.

**القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهما- كَانَ يَقُولُ: «مَنْ أَذِنَ لِعَبْدِهِ أَنْ يَنْكِحَ، فَالطَّلَاقُ بِيَدِ الْعَبْدِ، لَيْسَ بِيَدِ غَيْرِهِ مِنْ طَلَاقِهِ شَيْءٌ، فَأَمَّا أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ أَمَةَ غُلَامِهِ، أَوْ أَمَةَ وَلِيدَتِهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ»**

**الشيخ:** "أَمَةَ غُلَامِهِ" يعني: عبدِهِ ومملوكِهِ، قد يكونُ للعبدِ أَمَةٌ يملكُها فهي ملكٌ لسيِّدِهِ، له أنْ يأخذَها و[....]

**طالب:** العبدُ لا يملكُ أحسنَ اللهُ إليكم

**الشيخ:** يملكُ بالتَّمليكِ، (مَن باعَ عبدًا لهُ مالٌ...) هذا مِن أدلَّتِهِ.

**القارئ: بَابُ نَفَقَةِ الْأَمَةِ إِذَا طُلِّقَتْ وَهِيَ حَامِلٌ**

**الشيخ:** إلى هنا، رحمَهم اللهُ، اللهُ أكبرُ.

**(بلوغُ المرامِ)**

**القارئ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.**

**قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ -رحمَهُ اللهُ تعالى- في: "بلوغِ المرامِ" في تتمَّةِ كتابِ الحجِّ:**

**وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ النَّبِيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: (مَنِ الْقَوْمُ?) قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ? قَالَ: (رَسُولُ اللَّهِ) فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا. فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ? قَالَ: (نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

**الشيخ:** هذا الحديثُ أصلٌ في صحَّةِ حجِّ الصَّبي الَّذي لم يميِّزُ، وكذلك المميِّزُ، صحَّةُ حجِّ الصَّبيِّ وإنْ لم يبلغْ، وقوله: "رفعَتْ إليهِ صبيًّا" يدلُّ على أنَّه صغيرٌ، أنَّها رفعَتْه حملَتْه بينَ يديها أخذَتْه بيديها فرفعَتْه ليراهُ الرَّسولُ -عليه الصَّلاة والسَّلامُ- قالَ: "أَلِهَذَا حَجٌّ?" قَالَ: (نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ). وهذا معروفٌ باتِّفاق العلماءِ أنَّ حجَّ الصَّبيِّ صحيحٌ، بمعنى أنَّه يُثابُ عليه وإنْ لم يكن مميِّزًا، وبابُ الفضلِ أوسعُ من بابِ الجزاءِ والعدلِ.

**القارئ: وَعَنْهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-. فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا, لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ, أَفَأَحُجُّ عَنْهُ? قَالَ: (نَعَمْ)، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ, وَاللَفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.**

**الشيخ:** هذا الحديثُ كذلكَ أصلٌ في الحجِّ عن المعضوبِ، وهو العاجزُ الَّذي لا يستطيعُ السَّيرَ بنفسِه إلى الحجِّ، قالتْ: "إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا, لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ, أَفَأَحُجُّ عَنْهُ?" قالَ: "حجِّي عنهُ"، فالمعضوبُ كالمريض الَّذي لا يُرجَى بُرْؤُهُ، والكبيرُ السِّنِّ إذا كان له مالٌ يعني بمعنى يجبُ عليه الحجُّ بغناه فإنَّه ينوبُ عنه أو يستنيبُ من يحجُّ عنه، وإنْ تبرَّعَ له من يحجُّ عنه أجزأَ، فهذه تقولُ: "أفيجزِئُهُ أنْ أحجَّ عنهُ؟" قالَ: (نعم).

وما في هذا الحديثِ من مسألةِ نظرِ الفضلِ إليها ونظرِها إليه هذا من المشكلاتِ والمشتبهاتِ الَّتي كانَ فيها شبهاتٌ لأهلِ الباطلِ وأهلِ الأهواءِ الَّذين يستبيحون النَّظرَ أو يدعون إلى الاختلاط أو يستبيحون أو لا يُوجِبونَ الحجابَ على المرأةِ المسلمةِ، وعادةُ أهلِ الأهواءِ وأهلِ الباطلِ أنَّهم لا ينظرون إلَّا إلى ما يوافقُ أهواءَهم فيُعرِضون عن الأدلَّة الدَّالَّة على تحريمِ النَّظر ووجوبِ الحجابِ الَّذي أمرَ اللهُ به {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...} [النور:31]، وغير ذلك، وهذه عائشةُ تقول: "كانَ يمرُّ بنا الرُّكبانُ في الحجِّ، فإذا مرُّوا بنا أرخيْنا جلابيبَنا أو خُمرَنا على وجوهِنا"، أو كما قالَتْ رضيَ اللهُ عنها، فالأصلُ أنَّ النَّظرَ لا يجوزُ، والرَّسولُ في الحديث أنكرَ عليه بالفعل، صرفَ نظرَهُ مرَّةً أو مرَّتَينِ، والفضلُ شابٌّ وكانَ وسيمًا وخشيَ عليه وعليها الفتنةَ، فهذا من المشتبِهاتِ الَّتي أخذَ منها أهلُ الأهواءِ الشُّبهاتِ لباطلهم من استباحةِ النَّظر وإباحةِ السُّفور، بل وإباحةِ الاختلاط.

**القارئ: وَعَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ, فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ, أَفَأَحُجُّ عَنْهَا? قَالَ: (نَعَمْ, حُجِّي عَنْ أمك, أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ, أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ? اقْضُوا اللَّهَ, فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.**

**الشيخ:** وهذا الحديثُ من جنس ما قبلَه، إلَّا أنَّ الأوَّلَ في الفريضة في فريضةِ الحجِّ، وهذا في النَّذر، ففيه الدَّليلُ على جواز قضاءِ الواجبِ عن الميتِ، يقولُ: نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ, فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ, أَفَأَحُجُّ عَنْهَا? قَالَ: (حُجِّي عَنْها)، ثمَّ نظَّرَ النَّبيُّ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- ذلك بالدَّين، وقضاءُ الدَّينِ وقضاءُ الابنِ عن والدِه الدَّين أمرٌ مفروغٌ منه ومعروفٌ في عرف النَّاس وعاداتهم، ولهذا قال: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ, أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ?) قالتْ: "نعم"، قال: (اقْضُوا اللَّهَ, فَاللَّهُ أَحَقُّ) دَينُ اللهِ أحقُّ بالقضاءِ، فهذا دينٌ على أمِّك لله فاقضيه، فقرَّبَ لها ما قد يشتبهُ بما هو مستقرٌّ عندها ومعروفٌ، قضاءُ الدَّين الَّذي للنَّاس أمرٌ معروفٌ فشبَّهَ دينَ اللهِ بدينِ العبادِ وبيَّنَ فضلَ دينِ اللهِ وتأكيده وأنَّه أوجبُ وأحقُّ بالقضاء، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

**القارئ: وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: (أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ الْحِنْثَ, فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُجَّ حَجَّةً أُخْرَى, وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ أُعْتِقَ, فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُجَّ حَجَّةً أُخْرَى) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ, وَالْبَيْهَقِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ, إِلَّا أَنَّهُ اخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ, وَالْمَحْفُوظُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ.**

**الشيخ:** هذا الحديثُ أو الأثرُ من قولِ ابن عبَّاسٍ، قيلَ: موقوفٌ أو مرفوعٌ للرَّسول، استُدِلَّ به على أنَّ حجَّ الصَّبيِّ الَّذي لم يبلغْ لا يجزئُه عن فريضة الإسلام بل عليه إذا بلغَ أن يحجَّ حجَّةً أخرى، وكذلك العبدُ لا يجبُ عليه الحجُّ، فإذا حجَّ وهو عبدٌ ثمَّ عُتِقَ فعليهِ حجَّةٌ أخرى، ومثل هذا من كلام ابنِ عبَّاسٍ له حكمُ الرَّفع؛ لأنَّه حكمٌ شرعيٌّ لا يستقلُّ به الرَّأي والاجتهاد، وعلى هذا جماهيرُ أهلِ العلم، جماهيرُ أهل العلمِ على هذا على أنَّ العبدَ إذا حجَّ ثمَّ عُتِقَ فعليه حجَّةٌ أخرى وهو حرٌّ، والصَّبيُّ إذا حجَّ وهو لم يبلغْ كما لو حجَّ وهو ابنُ عشرِ سنين ثمَّ بلغَ فعليه حجَّةٌ أخرى، ولهذا اشترطَ الفقهاءُ في وجوب الحجِّ البلوغَ والحريَّةَ، أخذًا من هذا الحديثِ.

**القارئ: وَعَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يَخْطُبُ يَقُولُ: (لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ, وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)، فَقَامَ رَجُلٌ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً, وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا, قَالَ: (انْطَلِقْ, فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ, وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.**

**الشيخ:** المقصودُ من ذكر هذا الحديثِ اشتراطُ المحرمِ في سفرِ الحجِّ وفي كلِّ سفرٍ لكن في سفر الحجِّ كذلك، هذا نصٌّ، (لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ, وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ) قالَ رجلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, إِنَّ امْرَأَتِي انطلقَتْ حاجَّةً وقد اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا, قَالَ: (انْطَلِقْ) يعني: أذِن لهُ بترك الغزو والذَّهاب معَ امرأته ليكونَ محرمًا لها، ولم يستفصل الرَّسولُ "هل امرأتُكَ معَها نساءٌ ثقاتٌ؟" بل: "انطلقَتْ حاجَّةً" هذا مُجمَلٌ يحتملُ أنَّها معَ رفقةٍ وهو أقربُ، الأقربُ أنَّها معَ رفقةٍ، لم تذهبْ وحدَها سائحةً في أرض الله، ولهذا نقولُ: الصَّوابُ اشتراطُ المحرمِ في سفر الحجِّ، لكن هل ذلك شرطٌ في الوجوب أو شرطٌ في الأداء؟ هذا محلُّ اختلافٍ، فمن يقولُ: "إنَّه شرطُ وجوبٍ" يقولُ: "لا يجبُ عليها الحجُّ إذا لم يكنْ لها مَن يسافرُ معَها" أصلًا، فلا تجبُ عليها الاستنابةُ، ومن يقول: "إنَّه شرطُ أداءٍ" يقول: "إذا لم تجدْ محرمًا وأيسَتْ من وجود محرمٍ فإنَّها تستنيبُ كالمعضوبِ"، واللهُ أعلمُ.

إلى هنا يا محمَّد

**القارئ:** تلخيصُ بعضِ العلماءِ في حجِّ المرأةِ إذا أمنَتِ الفتنةَ

**الشيخ:** إي نظرًا للمعنى، وهذا محلُّ نزاعٍ، أقولُ: ما يُسلَّمُ لهم وإن كانوا أئمَّةً وكبارًا، لأنَّ هذا -كما ذكرتُ- الرَّسولُ لم يستفصلْ، لم يقلْ: هل هي معَ رفقةٍ آمنةٍ؟ هل تأمنُ؟ فالصَّوابُ أنَّ الحديثَ على إطلاقه، (لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ تسافرَ إلَّا ومعَها ذو محرمٍ)، ولكنَّ بابَ التَّأويل والاجتهاد واختلافِ الفهومِ بابٌ واسعٌ، وهو منشأُ هذا الخلافِ العظيمِ، هذا هو منشأُ الخلافِ الكبيرِ في مسائل الأحكامِ، اختلافُ الأفهامِ واختلافُ العلمِ وبلوغُ الأدلَّة، ولكن نقولُ: اللَّهمَّ اهدِنا لما اختُلِفَ فيهِ مِن الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

إلى هنا يا محمَّد

**طالب:** بالنِّسبة لسقوطِ الوجوبِ عن [.....] أليس

**الشيخ**: نعم؟

**طالب:** بالنِّسبة لحجِّ [.....]

**الشيخ:** أليس؟

**طالب:** [....]

**الشيخ:** تقولُ السَّيد؟

**طالب:** [.....]

**الشيخ:** أيش فيه؟

**طالب:** سقطَ عنه وجوبُ [.....]

**الشيخ:** هذا هو المشهورُ عندَ العلماء

**القارئ:** [.....]

**الشيخ:** لا، ينظرون إلى معنى القصود، أنَّه هو نفسُه قاصرٌ، والمعوَّلُ على هذا الحديث، المعوَّلُ على حديث ابن عبَّاسٍ، حجَّةٌ نقليَّةٌ، وذلك الَّذي أنتَ تعنيه هذا توجيه، توجيهُ الحكمةِ

**طالب:** [.....]

**الشيخ:** إي

**طالب:** [.....]

**الشيخ:** موقوفٌ، لكن له حكمُ الرَّفعِ، وهذا كثيرٌ عن أهل العلم يستدلُّون بأقوالِ الصَّحابة وهو مبنيٌّ على حجِّيَّةِ قولِ الصَّحابيِّ، وهذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ البحر، ابنُ عبَّاسٍ هو البحرُ، مثل استدلال جمهور الفقهاءِ بقوله: "مَن تركَ نُسُكًا فيهرقُ دمًا"، كلُّ ما يوجبونه من الدِّماء في ترك بعضِ المناسكِ كلُّها أصلُه في حديثِ ابن عبَّاسٍ.

**القارئ: الصَّبيُّ الصَّغيرُ إذا تحلَّلَ قبلَ أنْ يتمَّ الحجَّ هل يكونُ عليهِ شيءٌ [....] يحصلُ عارضٌ أو شيءٌ؟**

**الشيخ:** والله الفقهاءُ يطبِّقون في الصَّغير ما يجبُ في حقِّ الكبيرِ، ويطبِّقون عليه أحكامَ الحجِّ فيما يجبُ وفيما يحرمُ وفي كذا وفي كذا، ولكن محلُّ اجتهادٍ هذا

**القارئ:** الشَّيخُ ابن عثيمين [....]

**الشيخ:** نعم؟

**القارئ:** الشَّيخ يتساهلُ في هذا في [....]

**الشيخ:** وقولُه ليسَ ببعيدٍ عن الصَّواب، هو غيرُ مكلَّفٍ، نفسُ الصَّبيِّ غيرُ مُكلَّفٍ، فكيفَ نطبِّقُ عليه أحكامَ الـمُكلَّفين؟ وفيه حرجٌ عظيمٌ، ولهذا يُنصَحُ كثيرٌ من النَّاس، كثيرٌ من النَّاس الَّذين يستصحبون أولادَهم خصوصًا معَ الظُّروف الجاريةِ أنَّهم لا يقحمونهم في أمرٍ يؤدِّي إلى حرجِهم وحرجِ وليِّهم، لو غطَّى الصَّبيُّ رأسَه، قلنا: يجبُ عليه دمٌ أو فديةٌ أو كذا أو كذا، فالأظهرُ -واللهُ أعلمُ- هو مثلُ ما اختارَ الشَّيخ محمَّد**.**

**الأسئلة:**

**السؤال1: وكَّلْتُ رجلًا من أهلِ مكَّة يحجُّ عنِّي بالنِّيابةِ، فهل عليهِ طوافُ وداعٍ معَ أنَّني لسْتُ من أهلِ مكَّةَ؟**

**الجواب:** ليس عليهِ طوافُ وداعٍ، ليس عليهِ طوافُ وداعٍ إلَّا إذا أرادَ الخروجَ بعدَ الحجِّ من مكَّة، واجب.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**السؤال2: إذا كانَ هناكَ مَن يسفكُ الدِّماءَ ويهتكُ الأعراضَ وندعو عليهِ أنْ يجمعَ اللهُ لهم بينَ عذابِ القبرِ والخلودِ في النَّارِ، فهل هذا الدُّعاءُ بمستقيمٍ؟**

**الجواب:** ليس هذا بمستقيمٍ، لا يجوزُ الدُّعاءُ على المسلم بالخلودِ في النَّار، المسلمُ مهما فعلَ من المعاصي فإنَّ التَّوحيدَ ينجو به من الخلود في النَّار، فيخرجُ من النَّارِ كلُّ من قالَ: "لا إله إلَّا الله" وفي قلبِهِ أدنى أدنى شيءٍ من الإيمانِ.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**السؤال3: هل يصحُّ أنْ تَؤُمَّ المرأةُ في سجودِ التِّلاوةِ سواءً عندَ محارمِها أم غيرِهم؟**

**الجواب:** إي، إذا قرأَتْ أختُك أو زوجتُك وسجدَتْ اسجدْ معَها تكونُ لك إمامًا، أصلًا سجودُ التِّلاوةِ ليس له حكمُ الصَّلاة على الصَّحيح، فليسَ كلُّ ما يُمنَعُ في الصَّلاة يُمنَعُ في سجود التِّلاوة، ولهذا حتَّى في أمر الطَّهارة الأظهرُ أنَّها لا تُشترَطُ له الطَّهارةُ.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**السؤال4: هل يصحُّ أنْ يُقالَ: "إنْ شاءَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- أنْ نموتَ متْنا، وإنْ شاءَ ألَّا نموتَ لم نمتْ، ولكنَّا علمْنا أنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- شاءَ لنا الموتَ فنحنُ ميتونَ لا محالةَ"؟**

**الجواب:** لا إله إلَّا الله، معناهُ...، هذا الكلامُ متضارِبٌ، أصلحَه اللهُ، السَّائل، لو شاءَ اللهُ ألَّا تقومَ القيامةُ لم تقمِ القيامةُ، حتَّى القيامةُ لو شاءَ اللهُ ألَّا تقومَ لم تقمْ، لكنَّه حكمَ بحكمِه الَّذي لا يُبدَّلُ أنَّه لابدَّ أن تقومَ، هذا في القيامة الكبرى فكيفَ بالقيامةِ الصُّغرى؟! فاللهُ يحيي ويميتُ وكلُّ ما يفعلُه هو بمشيئته -سبحانه وتعالى- وحكمتِهِ البالغةِ.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**السؤال5: هل ابنُ خزيمةَ -رحمَهُ اللهُ- يقولُ بتأويلِ صفةِ الصُّورةِ، أم فقط يؤوِّلُ حديثَ: (خلقَ آدمَ على صورتِهِ)؟**

**الجواب:** بس [فقط] حديث، يؤوِّلُ بس الحديثَ، أمَّا الصُّورةُ هو لا ينفيها، لا ينفي الصُّورةَ عن الله، واللهُ أعلمُ، رحمَه اللهُ.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ